عبد العزيز بركة ساكن: «الشكل».. هو هاجسي الأول [1]

حاوره: محمود حسني [2]

عبد العزيز بركة ساكن: أديب وروائي سوداني، حائز على جائزة الطيب صالح للرواية في دورتها السابعة، وفيها حظيت أعماله باهتمام القراء والنقاد فكثيرًا ما أغضبت الرقيب. وُلِدَ بمدينة «كسلا» عام ١٩٦٣م، ونشأ وترعرع في «خشم القربة» بالقرب من مدينة «القضارف»، حيث درس المرحلة الابتدائية بمدرسة «ديم النور الابتدائية بنين» (الرباط حاليًّا) بالقضارف، والتحق في المرحلة المتوسطة بمدرسة «خشم القربة» ثم مدرسة «حلفا الجديدة» في المرحلة الثانوية، وتابع دراسته الجامعية في مصر، فدرس إدارة الأعمال بجامعة أسيوط. ويقيم حاليًّا في «النمسا»، وهو متزوج وله ولدان: «المهاتما» و«مستنير» عمِل مدرسًا للغة الإنجليزية في الفترة من ١٩٩٣م إلى ٢٠٠٠م، وشغل عدة مناصب، أبرزها: عمله مستشارًا لحقوق الأطفال لدى اليونيسيف في دارفور من ٢٠٠٧م إلى ٢٠٠٨م، ومديرًا لمشروعات التنمية في صندوق تنمية المجتمع التابع للبنك

(1) نشر الحوار في جريدة القاهرة الثلاثاء 2 يونيو 2015.
(2) صحفي مصري.

الدولي بالنيل الأزرق، إلى أن تفرَّغ للكتابة؛ تلك الوظيفة التي يستودعها شغفه التام والدائم ويعدها «وظيفة الساحر»، فإلى جانب مؤلَّفاته القصصية والروائية، كتب في كثير من الدوريات والمجلات والجرائد، منها: «مجلة العربي»، و«مجلة الناقد اللندنية»، و«مجلة الدوحة»، و«جريدة الدستور» اللندنية، و«الجزيرة نت»، وغيرها. كما أنه عضو نادي القصة السوداني وعضو اتحاد الكتاب السودانيين، وله مشاركات عديدة في فعاليات ثقافية عربية وعالمية. حصلت روايته «الجنقو مسامير الأرض» على جائزة الطيب صالح للرواية عام ٢٠٠٩م، ليصدر بعد قليل قرار وزارة الثقافة السودانية بحظر الرواية ومنع تداولها، وقبل ذلك صودرت مجموعته «امرأة من كمبو كديس» عام ٢٠٠٥م، وفي ٢٠١٢م قامت السلطات بمنع عرض كتبه بمعرض الخرطوم الدولي للكتاب، فيما رأى ساكن في تعنُّت الرقابة تضييقًا غير مقبول، مؤكِّدًا على أنه «كاتب حسن النية وأخلاقيٌّ، بل داعية للسِّلْم والحرية، ولكن الرقيب لا يقرأوني إلا بعكس ذلك». في المقابل، توفَّرت لأعماله قراءات تنبَّهت إلى رسالته وإبداعيته ونبَّهت إليها، فمُنح جائزة «بي بي سي» للقصة القصيرة على مستوى العالم العربي ١٩٩٣م عن قصته: «امرأة من كمبو كديس»، وجائزة «قصص على الهواء» التي تنظمها «بي بي سي» بالتعاون مع مجلة العربي عن قصتيه: «موسيقى العظام» و«فيزياء اللون»، وفي ٢٠١٣م قرر المعهد العالي الفني بمدينة سالفدن سالسبورج بالنمسا أن يدرج في مناهجه الدراسية روايته «مخيلة الخندريس» في نسختها الألمانية التي ترجمتها الدكتورة «إشراقة مصطفى» عام ٢٠١١م.

تحاوره القاهرة بمناسبة صدور أحدث أعماله رواية «الرجل الخراب» عن مؤسسة هنداوي 2015.

- في الرجل الخراب تشتبك بشكل مباشر مع فكرة العيش في الغرب، ألم تخشَ من هذه الفكرة خاصة وأنها كثر تناولها كتيمة روائية؟

نعم، هذه الفكرة مستهلكة جداً وتناولها الكثير من الكتاب، ولكن الرواية هي ليست الحكي وليست عرض الأفكار، فالرواية هي فن سرد الحكاية وليست هي الحكاية، وليست هي ما يحدث أو حدث، أقصد أن الرواية هي عمل أدوات السرد في المسرد، بالتالي أنا في كل أعمالي أهتم بالشكل والشكل هو الذي يُولِّد ما بعده. فالأسلوب الذي كتبت به رواية الرجل الخراب والتكنيك الفني هما اللذان جعلا هذه الرواية غير مستهلكة ولا تشبه تلك التي تناولت ذات المكان والأفكار.

الجانب الآخر: حساسية الوقت والأحداث في أوروبا في تغير دائم، أوروبا كما العالم لا تستقر على حال، والإنسان كما الله كل يوم هو في شأن، والكتابة مثل النهر فإنك لا تدخلها مرتين، وهكذا.

- كم من الوقت احتجت لإنجاز هذا العمل؟ وهل هناك ما يميزه عن باقي أعمالك التي تركز في عوالمها على السودان بشكل شديد الخصوصية؟

هذا العمل أخذ مني عامين، وهما كل الوقت الذي قضيته في أوروبا بالنمسا، وكنت دائماً ما أكتب وفقاً للمكان الذي أنا فيه، مثلاً رواية مسيح

دارفور بدأتها في دارفور قريباً جداً من ميادين المعارك، ومن ذات أمكنة الصراع، وبين الضحايا أنفسهم، الجنقو كتبتها وأنا أتجول في الحدود الإثيوبية الإرتيرية في حقول السمسم والذرة، في بيوت صانعات المريسة وعرق العيش والبلح، بين الجنقو والجنقاويات وعند محبتهم، رواية الطواحين التي أبطالها طلاب كلية الفنون، حملتني لدراسة الفن التشكيلي، وهكذا، العمل الروائي عندي لا ينفصل بأمكنة الحياة التي تخصني، فالروائي مثل النحات النوبي يعمل على الصخرة التي يعرفها ويحفظ خصائصها.

- في الآهداء قلت إن الشيطان حتى وقت قريب كان يكتب لك الروايات، ماذا تفعل الآن بعد أن تخلى عنك، خاصة أنه يمكن استنتاج أن (الرجل الخراب) مكتوب دون عون من الشيطان؟

قصتي مع الشيطان ليست قصة خيالية ولا هي نوع من العبث والجنون والشيطنة، وليست أيضاً حكاية إبداعية، فهي واقع فعلي مادي ملموس ومعاش، فأمي عليها الرحمة هي أول من انتبه أن هنالك شيطان يخصني أنا بالذات، وهو كان يقيم معنا في البيت بمدينة القضارف بقشلاق السجون، ربما لم يكن شيطاناً ولكنها أطلقت عليه هذا الاسم المربك المحير، وأنا قبلته وهو ربما قبله أيضاً ولو على مضض، ولكن ظلت رعايته لي كاملة غير منقوصة، لذا عندما شاهدتني أمي أملأ كراسات المدرسة ودفاتر كبيرة ضخمة بالكتابة وأنني أقضي ليلي في ذلك العمل، لم تندهش، تعرف أن رأس ولدها هذا الصغير ليست به كل تلك الكلمات، إنما يمليها له الشيطان

صديق طفولته وراعيه الوفي.

ثم حدثت لي أشياء كثيرة غريبة جداً، طوال حياتي، لم تحدث لإنسان قبلي إلا إذا كان لديه مثل الذي لديّ، ولا أبالغ إذا قلت أنني لو لا هذا الشيطان الطيب لمتُّ منذ سنوات في مناطق الحروب التي لا يبدأ فيها القتال إلا بعد أن أفارقها بساعات قلائل، كان يهمس لي: يا عبدو، عليك أن تغادر الآن.

بارك الرب في شيطاني الجميل، ذلك المخلوق الوديع، الذي يكتب لي الروايات والقصص القصيرة، وعلمني الشعر، وأوحى لي ببعض الأفكار الشيطانية. وأظنه كان قربي في الطائرة إلى أوروبا، من يدري؟.

- أخبرنا أكثر عن شكل التعاون مع ناشرك «هنداوي»، وألا ترى أنك مهضوم الحق في أن أعمالك ليس لها توزيع جيد بين البلدان العربية؟

مؤسسة هنداوي للعلوم والثقافة بها إدارة وموظفون نبلاء، وأنهم بشر يسهل التعامل والتعاون معهم وأنهم محترمون، وأصبحوا لي أصدقاء أكثر مما أنا عميل عندهم أو زبون، ولكن في ظني أن مشكلة هنداوي كمؤسسة هي مشكلة بيروقراطية بحتة، أعني مشكلة تصاحب المؤسسات الكبيرة التي تعمل وفقاً للوائح ونظم إدارية صارمة، في واقع شديد التغير ومربك مثل واقع البلاد التي نحن منها، السودان ومصر. ومنذ اللحظات الأولى أخبرت المؤسسة عما يمكن أن يصير عليه الحال في توزيع كتابي، وشرحت لهم كيف أن من كتاب واحد يدخل السودان يمكن أن ينسخ الناسخون ولصوص الكتب والناشرون الأشباح الآلاف، وعليهم أن يقوموا بإغراق

السوق تماماً في السودان ومصر، ولكن لكي تأخذ هذه الفكرة دورتها، استهلكت وقتاً طويلاً، أما اليوم فمؤسسة هنداوي لا تستطيع أن توزع كتاباً واحداً في السودان، فلقد سيطر المزيفون على السوق وأعرف الآن سبع طبعات مختلفة لكتاب الرجل الخراب بالخرطوم وطبعة واحدة رديئة بمصر أنجزها ناشر مشهور، وبذلك خسرت تماماً أن أجد مليماً واحداً من هذا الكتاب من سوق السودان، ولكن أنا سعيد أيضاً بأن الكتاب الآن في كل مكان في السودان وأنه أصبح مصدر دخل لبعض باعة الكتب الفقراء، ويكفيني إذا استطاع أحدهم أن يوفر إفطاراً لطفله من ربح يأته من أحد كتبي. ولي تعاون آخر مع هنداوي وهو تعاون ناجح، أن أعطيتهم حق نشر كتبي إلكترونياً لخمسين سنة ولهم الفضل في توصيل كتبي للقراء في كل أنحاء العالم مجاناً.

- كيف ترى الجوائز الأدبية في العالم العربي مثل البوكر وكتارا؟ وألا تفكر في التقدم لهذه الجوائز؟

الجوائز مشجعة جداً، ولكن الذي يدهشني فعلاً في أحيان كثيرة عندما أقرأ العمل الفائز، أحس بأن في الأمر شيء لا أفهمه، هل هنالك مواصفات أخرى للعمل الذي عليه أن يفوز بمسابقة ما غير الفن البحت؟؟ طبعاً سأشترك في يوم ما في مسابقة ما، ولا تهم النتيجة.

- هل أصبح على الكاتب أن يكون جزءً ضروريًّاً من التسويق لأعماله بحضوره لحفلات التوقيع والندوات التي تناقش روايته؟

طبعاً، الكاتب لم يعد شيئاً منفصلاً عن سوق كتابه وسوق الكتب

الأخرى، أقصد سوق القراءة. وتواجده بين القراء أصيل كواحدٍ منهم وهو القارئ المنشئ للعمل الفني وهم المؤلفون اللاحقون له، ودورهم في تأليف النصوص التي تخصهم من نصه، كبير وفاعل وأساسي. والقارئ هو الكاتب الأدق الذي يصنع مؤلفه من خبراته وظنونه مباشرة. وتواجد الكُتَّاب في الزمان والمكان بين القراء يفيد تجربة الكاتب ويعطيه الثقة فيما يكتب أو يحبطه، وكلاهما تفيدان الأعمال القادمة.

- بخصوص الترجمة، هل هناك أعمال تترجم لك حالياً أو تفكر في مشروع تعاون مع مؤسسة ثقافية أوروبية لترجمة أعمالك؟

لدي مشروعات في الترجمة: الجنقو مسامير الأرض، ستصدر هذا الشهر من الولايات المتحدة بالإنجليزية، ترجمها الأستاذ عادل بابكر، مسيح دارفور بالإنجليزية ترجمها عادل بابكر وبالألمانية ترجمها الدكتور غونتر أورت وبالفرنسية ترجمها البروفيسور إكزافيه لوفان» ستصدر عن دار زولما بباريس، وهي الدار التي ستقوم بنشر رواياتي الأخرى بالفرنسية، والتي في مراحل مختلفة نحو النشر، الخندريس نشرت بالألمانية «ترجمتها الدكتورة إشراقة مصطفى»، والآن تُدَرَّس بالمعهد العالي بسالفلدن، البحيرة المسحورة وهي قصة للأطفال صدرت بالألمانية في فيينا «ترجمها أحمد أوبليد وزوجته أوتي»، فارس بلالة وحواية والضبع قصص شعوبية، صدرتا بالإنجليزية والفرنسية والعربية، بدار هارماتان بباريس «ترجمها البروفسير إكزافيه لوفان»، وهكذا.

- أخبرنا بعض التفاصيل عن طقوس الكتابة، المكان، الوقت، أنواع الطعام والشراب، هل تكتب بشكل يومي وكم عدد الساعات؟

أكتب الرواية، أو في الحقيقة يمليني لها الشيطان بطريقة غريبة، لا أبدأ أبدًا بالفصل الأول، إنما أكتب أول مشهد يحضر إلى ذهني، بدون تخطيط وبصورة عشوائية جداً، ثم تنمو الرواية في الاتجاهين، نحو الأعلى ونحو الأسفل، بمعنى أن آخر فصل أكتبه هو الفصل الأول معاً مع الفصل الأخير، وبعد ذلك في أحيانٍ كثيرة قد أكتب بعض الفصول الأخرى المهمة في وسط الرواية في اتجاه البداية أو اتجاه الخاتمة. وهذا يجعل الشكل في رواياتي غريباً جداً، ولا تُوجد تراتبيّة سردية، ويمكن للقارئ في كثير من الأحيان أن يقرأ الرواية بالطريقة التي تعجبه، كما أن القارئ يجد أحداثاً في رواياتي مبتورة لأن تمامها ببساطة في فصل آخر، فعلى القارئ أن يكون منتبهاً طوال وقت القراءة وإلا أضله الشيطان. فأنا أعتمد على القارئ في كتابة الرواية وبنيتها، أي أن دوره مهم في أن تكتمل الرواية بعد نشرها.

ليست لي طقوس معينة في الكتابة، أكتب في كل مكان وكل زمان ولكنني أفضل العمل في الصباح والنهار، فالليل لا أستهلكه في أعمال الكتابة، فهو لي. عادة أعمل في القراءة والكتابة يومياً بمعدل ثمان ساعات.

- هل تختلف الحياة خارج البلدان العربية بالنسبة لعبد العزيز بركة ساكن الكاتب؟ وهل هو اختلاف إيجابي أم سلبي، حدثنا عنه أكثر.

أنا أحب الحياة في الريف، ليس لي مسكن في أية مدينة، حتى الخرطوم، أحب أن أقيم في المناطق الخلوية ولكن للأسف في السودان لم تعد فيه آمنة تلك البقاع، وأحب أيضاً القاهرة، لأنك يمكن أن تشكل القاهرة كما تهوى، يمكنك أن تصنع منها قرية بسيطة أو مدينة معقدة.

الآن أقيم أيضاً في الريف النمساوي، في منطقة جبال الإلب على حدود بعض الدول المجاورة للنمسا.

اختلاف الحياة يعتمد أيضاً على استعداد الشخص النفسي لتقبل كل ما هو جديد. في أوروبا أحس بأنني أكثر حرية وأكثر أمناً وأكثر وضوحاً وأكثر فقراً.

- ماذا مثلت لك الكتابة في اللحظة التي بدأت فيها خطّ أول أعمالك؟ وكيف ترى الأمر بعد مسيرتك المختلفة؟

منذ صغري، حيث كتبت أولى رواياتي وأنا في الـ13 من العمر، كنت دائماً أحب أن أكون كاتباً، فقط كاتب، وتشكلت حياتي على هذا النحو، نعم لقد قمت بوظائف كثيرة: «خياط وبناء وعامل صحة، ومعلم، وموظف في منظمات دولية، مستشار في الأمم المتحدة، مدير لإحدى مؤسسات البنك الدولي، ثم لاجئ في المعاش.» ولكني كنت دائماً الكاتب الذي يعبر تلك الوظائف نحو هدفه الأسمى. في الكتابة لا يفيد أن تعتبرها مجرد نزوة عابرة، أما أن تكون الكتابة مشروع حياتك أو لا تكون أنت كاتباً.

- ما هي الأعمال التي قرأتها مؤخراً وأحببتها من الأدب العربي والغربي؟ وما أحب الأعمال إلى قلبك في العام،

والكاتب الذي ترى أنه أثر فيك كثيراً؟

أحب دائماً وبصورة متواصلة أن أقرأ المواقف والمخاطبات وهو الكتاب المقدس للنفري، ولكن الكتاب الذي أثَّر فيَّ ودفعني للكتابة هو كتاب: قصص الرعب والخوف للشاعر الأمريكي إدجار آلان بو. أقرأ كل ما أجده من الأدب العربي، وأفضل أن أقرأ للأجيال الجديدة.

– أخبرنا إذن، هل هناك رواية تعمل عليها في الوقت الحالي؟ وهل هناك ما يمكن أن نقتنصه من تفاصيل حول أجوائها أو انشغالها؟

روايتي الجديدة: هي منفستو الديك النوبي. سأخبرك بجزء منها:

«الأَبْنَاءُ السَّفَلَة نَحْنُ الأَبْنَاءُ السَّفَلَة

نَحْنُ الأَبْنَاءُ السَّفَلَة

نَحْنُ الأَبْنَاءُ السَّفَلَة

نَحْنُ الأَبْنَاءُ السَّفَلَة

نَحْنُ الأَبْنَاءُ السَّفَلَة.